

الدرس (82) من شرح كتاب الفوائد لابن القيم رحمه الله

خالد المصلح

اجمعين وعذب فقال ابن قيم رحمه الله تعالى علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس باقولهم ويدعونهم ويدعونهم
الى النار بافعالهم فكلما قالت اقوالهم للناس هلموا قالت افعالهم لا تسمعوا منهم - 00:00:00

فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلة وفي الحقيقة قطاع طرق اذا كان الله وحده حظك ومراحك
والفضل كله تابع لك يزدلف اليك - 00:00:25

اي انواعه تبدأ به واذا كان حظك ما تناول منه فالفضل موقوف عنك لانه بيده تابع له فعل من افعاله فإذا حصل لك الفضل
بطريق الضم واتبع واذا كان الفضل مقصودك - 00:00:44

لم تحصل الله بطريق الضم واتبع فان كنت قد عرفته وانسنت به ثم سقطت الى طلب الفضل حرمك اياه عقوبة لك ففاتك الله فاتك
الفضل الحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على نبينا محمد - 00:01:04

وعلى الله واصحابه اجمعين. اما الفائدة الاولى قال علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس باقولهم ويدعونهم
الى النار بافعالهم وهذا فيما اذا اظهروا سوءهم واما اذا كان سوءهم باطننا - 00:01:26

فانه لا يصدق عليهم هذا الوصف الذي ذكر المؤلف رحمه الله ونسأله الله ان يجعلنا هداة مهتدین غير ضالین ولا مضلین اما الثانية
فقال اذا كان الله وحده حظك ومراحك فالفضل كله تابع لك يزدلف اليك - 00:01:48

يعني اذا قصدت الله جاءك الله بكل ما تريده وساق اليك كل ما تحبه واما اذا كان قصتك غيره جل في علاه فانه لا يأتيك منها الا ما
قدر لك ان يأتي ولذلك قال رحمه الله واذا كان الفضل مقصودك لم تحصى الله بطريق الظمن واتبع - 00:02:09

فان كنت قد عرفته وانسنت به ثم سقطت الى طلب الفضل حرمك اياه عقوبة لك ففاتك الله وفاتك الفضل ولهذا ينبغي للعبد ان
يمحضر قصده وان يخلصه لله في كل ما يأتي ويذهب - 00:02:35

وكلما عظم اخلاص العبد عظم عطاء الرب له جل في علاه فان الاجر على قدر ما يقوم في قلب العبد من صحة القصد وسلامة النية
نسأله الله ان يرزقنا واياكم - 00:02:56

صدق الرغبة فيما عنده. وهذا لا يعني الا يسعى الانسان لنيل ما جعله الله تعالى ثوابا للعمل وانما الكلام فيما اذا غاب عنه رضا ربه ولم
يخلص له العمل وانما طلب ما عند الخلق - 00:03:19

فهذا لا يدرك شيئا من ذلك اذ يفوته ثواب الآخرة ولا يدرك من فضل آآ الفضل والذكر وجميل الاثر عند الناس شيئا بل يذهب ويظلم حل
ويزول. نعم قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصر العدو - 00:03:40

دخل في حصر النصر فبعثت ايدي سرایاہ بالنصر في الاطراف وطار ذكره في الافق فصار الخلق معه ثلاثة اقسام مؤمن به ومسالم
له وخائف منه القى بذر الصبر في مزرعة - 00:04:08

فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فاذا اغصان النبات تهتز بخزامي والحرمات قصاص فدخل مكة دخولا ما دخله احد قبله ولا بعده
حوله المهاجرون والانصار لا يبيّن منهم الا الحدق - 00:04:28

والصحابة على مراتبهم والملائكة فوق رؤوسهم وجبريل يتتردد بينه وبين ربه وقد اباح له حرمه الذي لم يحله لاحد سواه
فلما قايس بين هذا اليوم وبين يوم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك - 00:04:48

فاخرجوه ثانی اثنین دخل وذقنه تمس قرى موسى سرجه خضوعا وذلا لمن البسه ثوب هذا العز الذي رفعت اليه فيه الخلقة رؤوسها

ومدت اليه الملوك اعناقها فدخل مكة مالكا مؤيدا منصورا - 00:05:13

وعلى كعب بلال فوق الكعبة بعد ان كان يجر في الرمباء على جمر الفتنة فنشر بذا طوي عن القوم من يوم قوله احد احد ورفع صوته بالاذان فاجابتة القبائل من كل ناحية - 00:05:36

فأقبلوا يؤمنون الصوت فدخلوا في دين الله افواجا وكانوا قبل ذلك يأتون احدا فلما جلس الرسول صلى الله عليه وسلم على منبر العز وما نزل عنه قط مدت الملوك اعناقها بالخضوع اليه - 00:05:55

فمنهم من سلم اليه مفاتيح البلاد ومنهم من سأله المواعدة والصلح ومنهم من اقر بالجزية والصغر و منهم من اخذ في الجمع والتأهب للحرب ولم يدرى انه لم يزد على جمع الفنائم وسوق الاسار اليه - 00:06:14

فلما تكامل نصره وبلغ الرسالة وادى الامانة وجاءه منشور انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. ويتم نعمته عليك. وبهديك صراطا مستقيما. وينصرك الله - 00:06:34

نصرًا عزيزا وبعد توقع اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا جاءه رسول ربه يخирه بين المقام في الدنيا وبين لقائه واختار لقاء ربه شوقا اليه - 00:06:54

فتزينت الجنان ليوم قدم روحه الكريمة لا كزينة المدينة يوم قدم الملك اذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشرها بقدوم روحه فرحا واستبشرها بقدوم روحه فكيف بقدوم روح سيد الخلق - 00:07:15

فيما منتبها الى غير هذا الجناح ويا واقفا بغير هذا الباب انت تعلم يوم الحشر اي سريرة تكون عليها يوم تبلى السرائر يا الله يا رب اطيب لنا السريرة وجنب لنا السيرة يا حي يا قيوم - 00:07:37

هذا الفصل ذكر فيه المؤلف رحمة الله في ابتدائه ما كان عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم وانه تقلب بين حالين هذى تسلط اعدائه عليه وهو ما سماه بحصن العدو - 00:07:58

وحال ظفره وانتصاره وسماه بحصر النصر وهو صلى الله عليه وسلم قد حقق العبودية لله عز وجل في الحالين فكان عبدا لله سبحانه وتعالى في نصره وفي حصره وظعفه وقلة ذاتي يده واعوانه - 00:08:17

قد لقي صلى الله عليه وسلم ما لقي فكان عبدا لله عز وجل في كل الاحوال وقد ذكر المؤلف رحمة الله حاله صلى الله عليه وسلم في دخوله الى مكة كيف كان - 00:08:49

قد بلغ الغاية في التواضع خطوطا لله عز وجل وذلا له واقرارا عظيم فضله واحسانه حيث اظهره هذا الاظهار العظيم الذي تهاوى به كل وهم انه مخدول او انه غير منصور - 00:09:06

او ما الى ذلك من اوهام اعدائه من الكفار واهل الكتاب فدخل مظفرا منصورا صلى الله عليه وعلى الله وسلم وقد ذكر حاله في خروجه على تلك الصفة التي ذكر الله تعالى - 00:09:33

ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبها لا تحزن ان الله معنا و ما جاء من الفتح المبين الذي دخل به صلى الله عليه وسلم هذا الدخول العزيز والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمنون - 00:09:53

آآ هذه الصورة التي ذكرها المؤلف لدخول بلال ايضا وما جرى منه ايضا هي مما اظهر الله به عز اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه وامن به صلى الله عليه وعلى الله وسلم - 00:10:17

وبعد هذا ختم هذا الاستعراض لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم بايجاز ختمه آآ ما انتهى اليه حاله صلى الله عليه وسلم من الموت الذي قضاه الله تعالى على كل نفس انك ميت وانهم ميتون - 00:10:37

وما اختاره من اللحاق بربه وان ذلك كان موجبا عظيم البشر لاهل السماء نعم قال رحمة الله فصل يا مغورو بالاماني لعن ابليس واهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة امر بها - 00:11:00

واخرج ادم من الجنة بلقمة تناولها وحجب القاتل وحجب القاتل عنها بعد ان رآها عيانا بملء كف من دم وامر بقتل الزاني اشنع القتلات بايلاج قدر الانملة فيما لا يحل - 00:11:27

وامر بايساع الظهر سياطا بكلمة قذف او بقطرة من مسکر وابان عضوا من اعضائك بثلاثة دراهم فلا تأمنه ان يحبسك في النار
بمعصية واحدة من معاصيه ولا يخاف عقباها دخلت امرأة النار في هرة - 00:11:49

وان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار بعد ما بين المشرق والمغرب وان الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة فاذا
كان عند الموت جار في الوصية فيختتم له بسوء عمله - 00:12:09

فيدخل النار العمر باخره والعمل بخاتمه من احدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته ومن افتر قبل غروب الشمس ذهب صيامه
ضائعا. ومن اساء في اخر عمره لقي ربه في ذلك الوجه - 00:12:29

لو لو قدمت لو قدمت لقمة وجدتها ولكن يؤذيك الشره كم جاء الثواب يسعى اليك؟ فوق بالباب فرد بباب سوف ولعل وعسى كيف
الفلاح يقول رحمه الله يا مغوروا بالاماني وهذا خطاب لكل - 00:12:48

احد فان كل احد تغره الاماني والناس منها ناج ومتورط والناس في ذلك بين ناج ومتورط ذكر رحمه الله جملة من معاني النصوص
التي توجب التوقف عن الاغترار بالاماني وذلك ان الاماني تمد الانسان - 00:13:14

بالمضيء في الغفلة والاسراف فكان محتاجا الى ان يقف عن هذه الاماني التي توهنه بالنجاة وتغريه بالاسراف بان يتذكر ان ربه
جل في علاه يأخذ بالذنب ويعاقب عليه - 00:13:41

وقد قال تعالى نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم واغترار الانسان بفضل الله وكرمه واحسانه وجوده لا
يؤمن معه ان يؤاخذه الله تعالى سوء العمل وذكر جملة - 00:14:12

من مخوفات التي توقف الاغتراب لعن ابليس واهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة امر بها وخرج ادم من الجنة بلقمة تناولها
وحجب القاتل عنها اي عن الجنة بعد ان رآها عيانا بملئ بملئ كف من دم - 00:14:36

وامر بقتل الزاني اشنع القتلات بایلاج قدر انملة فيما لا يحل اذا كان محصنا وامر بايساع الظهر سياطا بكلمة قذف او بقطرة من مسکر
وابانا عضوا من اعضائك بثلاثة دراهم - 00:14:59

اذا اخذت من حرز بعد هذا الاستعراض قال فلا تأمنه ان يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه وهذا يوجب عدم الامن من مكر
الله فانه لا يؤمن مكر الله الا القوم الخاسرون - 00:15:19

وهذا ليس تقنيطا من رحمة الله فقد وسعت رحمته كل شيء. لكن هذا تذكير بانه لن يصل الى رحمة الله الا بجناحين. جناح الرجاء
وجناح الخوف فلا يسرف في الرجاء حتى يغيب عنه الخوف - 00:15:41

ولا يوغل في الخوف حتى يظنحل في قلبه الرجاء بل هما جناحان يسير بهما الى الله عز وجل لا يستقيم سيره الا
باستواهما واستحضارهما ثم ذكر رحمه الله - 00:16:03

ضرورة العناية بالخواتيم وان الانسان ينبغي الا يفتر بحاله الحاضرة فالعبرة بالنهاية فمهما كنت صالحا واستقامة وطيبة اليوم ليكن
همك ان يختتم لك بذلك فالاعمال بالخواتيم وذلك ان الانسان اذا ساعت خاتمه - 00:16:27

كان ذلك موذنا عدم صلح عمله لا سيما اذا كان سوء الخاتمة مما يحيط بها العمل كله قال من احدث قبل السلام ولا يكون هذا الا
بالاليان بمبطل من مبطلات الاسلام - 00:16:51

من احدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته وكذلك اذا احدث بردة ونحوها فانه يعاقب بذلك حبوط عمله. قال ومن افتر قبل
غروب الشمس ذهب صيامه ضائعا ومن اساء في اخر عمره لقي ربه - 00:17:09

بذلك الوجه الانسان يموت على ما ختم له به يبعث على ما مات ولهذا ينبغي ان يجد في حسن الخاتمة. حسن الخاتمة منحة وهبة من
الله تعالى موجبها وسببها هو جميل المقدمة. فالخواتيم - 00:17:31

نتائج وهي ثمرة مقدمات فكلما حسن عمل الانسان في خاتمه في مقدمات عمره وفي اوائل حاله كانت خاتمه على نحو
من السلامه والطيب قال رحمه الله في التحذير من ايضا الاغترار - 00:17:53

كم جاء الثواب يسعى اليك؟ يعني فتح لك من ابواب الطاعة والخير والصلاح ما فتح فوق بالباب اي وقف عندك فرده بباب سوف

ولعل وعسى. التسويف والتأجيل والتأخير قال رحمه الله - 00:18:15

قال كيف الفلاح بين ايمان ناقد وامل زائد ومرض لا طبيب له ولا عائد وهو مستيقظ وعقل راقد ساهيا في غمرته عميقا في سكرته سابحا في لجة جهله مستوحشا من ربها مستأنسا بخليقه - 00:18:35

ذكر الناس فاكهته وقوته. وذكر الله حبسه وموته لله منه جزء يسير من ظاهره وقلبه ويقينه لغيره لا كان لا كان من لسواك فيه بقية يجد السبيل بها اليه العزل - 00:18:56

كان اول المخلوقات اتکذن لا فلاح لهذا فان كل هذه الاعمال موجبة اضمحلال الفلاح اذ الفلاح في الاقبال على الله عز وجل اذا كان في اذا كان الاقبال على عبادة واحدة موجبا للفلاح فكيف بالاقبال بالقلب في كل العمل على الله عز وجل؟ في النداء للصلة -

00:19:19

حي على الفلاح وهي وهو عمل واحد فكيف من اقبل على الله تعالى في كل عمله كان ذلك موجبا فلاحه وبقدر ما ينقص من صالح العمل ينقص من الفلاح نعم - 00:19:42

قال رحمه الله فصل كان اول المخلوقات القلم ليكتب المقايير قبل كونها وجعل ادم اخر المخلوقات وفي ذلك حكم احدها واضح؟ كان اول المخلوقات القلم وهو قلم التقدير والمقصود باول المخلوقات - 00:20:00

ما سوى العرش فان العرش سابق لخلق القلم كما دل عليه حديث عمران كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء فالعرش اول المخلوقات - 00:20:26

فيما دلت عليه الدلة والعلم اوليته بالنظر الى ما عدا العرش من خلق الله عز وجل وتقديمه في الخلق ليكتب مقايير الخلائق والمقصود بالكتابة هنا ما كان في اللوح المحفوظ - 00:20:46

الذي حوى كل ما يكون من الحوادث والواقع في كون الله عز وجل قال وجعل ادم اخر المخلوقات وفي ذلك حكم فان ادم تأخر خلقه عن سائر المخلوقات التي نعلمها - 00:21:12

فتتأخر عن الملائكة وعن الجن وعن السماء والارض وما فيهما من خلق الله عز وجل وقد سخر الله تعالى له كل شيء وهذا التأخير في خلق ادم له حكم ذكر منها المؤلف رحمه الله - 00:21:36

عشر حكم يقول رحمه الله في ذكر حكم تأخير آآ بدأ تقديم خلق القلم وتأخير خلق ادم قال رحمه الله قال وفي ذلك حكم احدها حكم يعني اسرار وغایيات هذا معنى الحكمة الحكم تطلق على الغایات - 00:22:00

وعلى الاسرار التي يفسر بها الفعل الفعل قال احدها تمهيد الدار قبل الساكن والثانية انه الغاية التي خلق لاجلها ما سواه من السماوات والارض والشمس والقمر والبر والبحر الثالثة ان احدق الصناع يختتم عمله باحسنه وغايته كما يبدأ بساسه ومبادئه - 00:22:24

الرابعة ان النفوس متطلعة الى النهايات والاخير دائما ولهذا قال موسى للسحرة اولا القوا ما انتم ملقون. فلما رأى الناس فعلهم تطلعوا الى ما يأتي بعده الخامسة ان الله سبحانه اخر افضل الكتب والانبياء والامم الى اخر الزمان - 00:22:54

وجعل الاخرة خيرا من الاولى والنهايات اكمل من البدايات. فكم بين قول الملك للرسول اقرأ؟ فيقول ما انا بقارئ وبين قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم السادسة انه سبحانه جمع ما فرقه في العالم في ادم. فهو العالم الصغير وفيه وفيه ما في العالم الكبير -

00:23:17

السابعة انه خلاصة الوجود وثمرته فناسب ان يكون خلقه بعد الموجودات. الثامنة ان من كرامته على انه هيأ له مصالحة وحوائجه والاك معيشه واسباب حياته فما رفع رأسه الا وذلك - 00:23:41

حاضر عتيد التاسعة انه سبحانه اراد ان يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات فقدمها عليه في الخلق. ولهذا قالت الملائكة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا. فلما خلق - 00:24:01

فادم وامرهم بالسجود له ظهر فضله وشرفه عليهم بالعلم والمعرفة. فلما وقع في الذنب ظنت الملائكة ان ذلك كالفضل ظنت الملائكة ان ذلك الفضل قد نسخ ولم تطلع على عبودية التوبة الكامنة. فلما تاب الى ربها واتى بتلك العبودية - 00:24:20

علمت الملائكة ان لله في خلقه سرا لا يعلمها سواه. العاشرة انه سبحانه لما افتتح خلق هذا العالم قلم كان من احسن المناسبة ان يختتمه بخلق الانسان فان القلم الة العلم والانسان - 00:24:43 -
فان القلم الة العلم والانسان هو العالم. ولهذا اظهر سبحانه فضل ادم على الملائكة بالعلم الذي خص به دونهم - 00:25:02